برحوا ـ حداة القافلة الإنسانيّة وهداتها ؟

قصارى القول إنّنا نعيش في عالم دأبه التجدّد. والتجدّد لا يكون بالبناء دون الهدم، ولا بالهدم دون البناء. ولكنّه يقوم بكليهما. فنحن لا نستطيع أن نبني بيتاً من حجارة كثيرة إلّا إذا حطّمنا حجارة كثيرة. ولا أن نجهّز البيت بالأبواب والأثاث إلّا إذا أجهزنا على حياة أشجار كثيرة. وأجسادنا لا تقتات إلّا بأشياء نميتها، ولا تنمو بغير الانحلال. فهل من غاية وراء هذا التجدّد المستمرّ وما هي؟

ما شككت يوماً في وجود الغاية. والغاية التي يدلّني عليها فكري وخيالي هي أن هذا الكون الجيّاش بالحركة والحياة إنّما يتحرّك من اللّاوعي إلى الوعي، من الجهل إلى المعرفة، من الحدود والقيود إلى حيث لا حدود ولا قيود، من الحسّ إلى ما وراء الحسّ، من الخير والشرّ إلى ما فوق الخير والشرّ، من الجزئيات إلى الكليات، من الحقّ الذي لا يقوم بغير القوّة إلى القوّة التي لا تقوم بغير الحقّ، من الغريزة المخلوقة العمياء إلى الإرادة الخلّاقة المبصرة.

إنّه لموكب هائل رائع ساحر هذا الذي تؤلّفه الأكوان في طريقها إلى الانفلات من حدود الزمان والمكان، والانعتاق من قيود الحسّ والمادّة. إنّه لموكب الحياة التي